«الاكروستيش» او فنّ التوزيع

ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطويخوس

ليوحنا الدمشقي

نقله إلى العربية فؤاد افرام قادري

ماهيّة « التوزيع »

ان كلمة « اكروستيش » (Acrostiche) مركبة من كلمتين يونانيتين : ἄκρος الدالة على حدّ او طرف. στίχος الدالة على بيت من الشعر ، ويقابلها في العربية لفظة « توزيع » .

و« الاكروستيش » قصيد صغير يتألف من ابيات يوازي عددها عدد الحروف التي يتألف منها الاسم ، او بيت الشعر ، او موضوع القصيدة ، بنوع ان كل بيت من هذه الابيات يبتدئ بحرف اولي من حروف ذلك الاسم او ذاك البيت . واذا جمعتها بتتابع ونظام بانَ لك الاسم بكامله في اوائل ابيات القصيدة . واليك هذا التوزيع الافرنسي للملك لويس الرابع عشر :

L ouis est un héros sans peur et sans reproche :
O n désire le voir. Aussitôt qu'on l'approche,
U n sentiment d'amour enflamme tous les cœurs.
I l ne trouve chez nous que des adorateurs.
S on image est partout, excepté dans ma poche. (1.

Louis

على ان هذا الذوق الأدبي الفني وانتقاء المواضيع ، واستعمال « الاكروستيش »

1) cf. *Dict. d'Archéol. Chrét. et de Liturgie*, t. I. p. 360.

2) cf. *Larousse*, au mot *acrostiche*.

في القصائد والاناشيد ، نلامات قيمة تدل على الحالة الفكرية في عصر من العصور

فعلم الآثار والاثريات مصدر من مصادر علم النفس والاجتماع . ولقد احسن في ما قاله في هذا المعنى العلّامة الافرنسي ليتره (Littré): «عندما نفكر في ارتباط المعاني في صفحة من صفحات الشعر ، ونهبط من فكرة الشعر الى فكرة السطر ، ومن فكرة السطر الى فكرة الرتبة ، ومن فكرة الرتبة الى فكرة العمل الذي به ثبت الشاعر وحدّد تلك النقاط التي تؤلف الرتبة ، فاننا نقف حقيقة على عمل العقل البشري الغريب والظاهر في جميع هذه الاصطلاحات غير المسلوكة والمجردة».[1]

«والاكروستيش» نوعان شعري وابجدي . فهذا تسلية لغوية ادبية قديمة العهد ، على ما يظهر لنا ، وذاك عمل فكري عميق يربط معاني الابيات بمباني الحروف ويدلّ على جهود الفكر في عصر من العصور

التوزيع الابجدي بسيط يتركب من الحروف الابجدية تدخل في اوائل ابيات القصيدة فيكون إمّا مقطعيًا وإمّا فرديًا.

فالتوزيع المقطعي على نوعين : إمّا ان يعاد الحرف في كل بيت من ابيات المقطع الواحد ، وامّا ان يكون لمقطع واحد حرف واحد يظهر في اول بيت من المقطع مرّة واحدة .

والتوزيع الفردي هو ما يظهر في كل بيت من النشيد مبتدئًا بأول حرف من الابجدية بأول بيت من القصيدة . وهكذا تتوارد الحروف الابجدية بتتابع ونظام في كل ابيات القصيدة حتى آخر حرف من حروف الابجدية .

واصل هذا التوزيع الابجدي في نوعيه يرجع الى العبرانيين الذين نظموا الشريعة شعرًا ، ودبّجوها بهذا الفن الطريف . وقد اخذ عنهم ذلك السريان ، والرومان ، واليونان ، والعرب وغيرهم.

والتوزيع الشعري هو ما كان موضوعه اسمًا او آية او بيتًا من الشعر او

1) Littré, *Dictionnaire de la Langue française*, t. I, p. 48, col. 3.

ابياتاً ، يوزع الشاعر هذه الحروف على ابيات القصيدة او مقاطعها صغيرة كانت او كبيرة.

واما نشأة هذا التوزيع الشعري فتعود بالاخص الى الشاعر اليوناني ابيكرم (Hipponax) الشاعر الهزلي وربيب القرن الخامس قبل المسيح (+ ٥٥٠).

وقد اكّد سرّ هذه الالعاب الادبية الفكرية الكثير من الشعراء على ان التوزيع كان نوعاً من انواع الاحاجي التي استعملتها بنات البحر ليتكهّن بها للناس ويعرّفهم المضمرات الغوامض.

التوزيع عند العبرانيين

ان آثار العبرانيين الشعرية حافلة بالاناشيد التي تبتدئ ابياتها بالحروف الابجدية العبرية ، والتي تهيمن عليها روح علوية طبعت في نفسية الشعب العبراني حبّ الشريعة الأزلية والوصايا الالهية . فاذا بها مكتوبة بالحروف الابجدية كطابع خصوصي للشعب المنتخب الذي أخذ على نفسه ان يسير في شريعة الربّ ويهذّ بها نهارًا وليلًا الى أن تكلّ عيناه من النظر الى اقوال الرب...

واول من تغنى بالحروف الابجدية كان داود النبي . فمن تصفح المزامير الشعرية باللغة العبرية وجد فيها ثمانية مزامير مختومة بخاتم التوزيع وهذه المزامير هي : ٩ و١٠ و٢٤ و٣٣ و١١٠ و١١١ و١١٨ و١٤٥ . وأضف الى هذه المزامير الثمانية الفصلَ الحادي والثلاثين من سفر الامثال ، ومراثي ارميا الا الفصل الاخير منها . كما يظهر ذلك في الترجمة العربية اليسوعية للكتاب التي وقف عليها الشيخ ابراهيم اليازجي واخرجتها المطبعة الكاثوليكية ، حيث نجد آيات المراثي مسبوقة بالحروف الابجدية العبرانية.

واذا سألنا ذواتنا لماذا استعمل الشعراء العبرانيون التوزيع الابجدي في اناشيدهم ، اجبنا ان ذلك كان أولًا لحفظ الاناشيد غيباً بسهولة ، لان تصدّر حروف الهجاء في اوائل الآيات يساعد مساعدة كبرى على التذكر السريع بأول كلمة من الآية.

وهنا لا بدّ من ملاحظة صغيرة وهي ان التوزيع في المزمورين التاسع

والعاشر غير كامل . ولعلّ ذلك النقص ناتج من تقسيم هذين المزمورين الى اثنين بينما يدلّ الاصل على انهما مزمور واحد لانهما يتكملان بتوزيع واحد

واما المزمور المئة والثامن عشر ومطلعه : « طوبى للاذكياء في الطريق السائرين في الشريعة » فله توزيع مقطعي او دوري . وهو مقسوم الى اثنين وعشرين دورا ، وكل دور مؤلف من ثماني آيات تبتدئ بالحرف الواحد ثماني مرات « ولا يخفى ما في هذا الترتيب المنتظم من الملاءمة للنفس وما يلقيه من الطلاوة والبهجة على كُدة الكلام التعليمي المسرود في هذا المزمور فضلًا عما هنا من التخفيف على قوة الذاكرة »[1] .

وقد استعمل التوزيع صاحب سفر الأمثال . فنجد أثره في الفصل الحادي والثلاثين من الآية العاشرة حيث يبدأ « من يجد المرأة الفاضلة ان قيمتها فوق اللآلئ » فهذه الآية هي بمنزلة مطلع لقصيدة في مديح المرأة الفاضلة قد نظمت على حروف الهجاء ، وهي اثنتان وعشرون آية ، وكل آية منها مفتتحة بحرف من الحروف الابجدية العبرانية حسب ترتيبها .

واستعمل النبي ارميا التوزيع في مراثيه ، في الفصول الاربعة ، مع هذا الاختلاف البسيط بينها وهو ان الفصول الاول والثاني والرابع مؤلفة من توزيع فردي ، اي لكل آية حرف يبتدئ بها . واما في الفصل الثالث فكل حرف من الابجدية يفتتح ثلاث آيات متلازمة وهذا الفصل اكبر الفصول الأربعة في مراثي ارميا .

وربما كان هذا الاستعمال من النبي ارميا يقصد منه فاتخذ التوزيع كسد يحدّد ويقيّد به شعوره وألمه . ومهما تكن دواعي هذا الاستعمال ، فترتيب الحروف لا يضرّ ابدًا بالتعبير الطبيعي الشعري عما في النفس من العواطف ، فهو يماثل مجرى النهر الضيق الذي يحدّد جري المياه وقد تتفجر عيون صافية وتتدفق بسرعة من بين الصخور التي تضم شواطئ النهر[2] .

---

١) راجع حاشية في الكتاب المقدّس على المزمور ١١٨ من الترجمة العربية المجلد الثاني ص ٨٤٦ ، عمود ٢ .

٢) L. Haneberg : *Histoire de la Révélation Biblique*, t. I, p. 353.

التوزيع عند السريان

وعرف السريان التوزيع العبراني . فتلقّفوه عن العبرانية ، لما رأوا فيه من التسلية الادبية ، والسهولة في حفظ الاناشيد والقصائد الدينية ونجد آثارًا لهذا الفن في الآداب المعرفية (Gnostiques) في الكتاب المعنون : كتاب آدم (Liber Adam) . فهناك اربعة مزامير مختومة بخاتم الابجدية المطّردة وكل مزمور مركب من اثنتين وعشرين آية تقابل حروف اللغة السريانية .

وقد ألف كثير من شعراء السريانية الكنسيين « مداريشهم » ومياسرهم على حروف الهجاء ليسهل حفظها غيباً . فالشاعران يعقوب الرهاوي والقديس افرام السرياني تتبعا التوزيع في قصائدهما ولا تزال محفوظة في كتب « وشحيات » السريان والموارنة .

ونجد ايضاً اثرًا للتوزيع الابجدي في ما نقله السريان عن الصلوات اليونانية الى السريانية ، كما في قانون عيد البشارة ليوحنا الدمشقي ، وقد صرّح بذلك احد علماء السريانية الخوري اسحق ارملة السرياني في مقالته : « السريان والملكيون » في مجلة المشرق الغراء قال :

« بيد ان السريان في نقلهم قانون العذراء الجليلة تأليف يوحنا المتوحد (الدمشقي) لم ينهجوا نهج سائر القوانين اليونانية التي ترجموها بل توسعوا في نقلها خصوصاً منذ الأودية الثامنة التي تقابلها في السريانية تسبيحة الفتيان في اتون بابل فنظموا عباراتها عبارة عبارة طبقاً للحروف السريانية الابجدية طردًا وعكساً أعني من الالف الى التاء ثم من التاء الى الالف حتى اصبح مجموعها ٤٤ عبارة ولم يضبطوا وزنها وفقاً للنظم السرياني »[1] .

اجل ان السريان في نقلهم قانون يوحنا الدمشقي الى لغتهم ارادوا ان يتقلدوه حتى في مباني القصيدة اليونانية الا انهم اضطروا الى تخفيف عباراتها الاصلية من ٤٨ عبارة طردًا وعكساً الى ٤٤ لان حروف الابجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً بينما ان حروف اليونانية اربعة وعشرون حرفاً .

---

١) راجع مجلة « المشرق » ٣٩ [١٩٤١] ٢٦١ – ٢٦٢ .

وقد اطلعنا حضرة الخوري اسحق ارملة الموما اليه على ميمر للقديس افرام نظمه في آية داود النبي ﻫﻫﻮﺍ ﻭﻭﺒﺏ ﺤﺩﻭﺘﻤﺍ ﻤﺤﻤﻘﺴﻭ ﺤﺤﺍ ﻤﻭﻫﺍ : « أشرق النور على الصديق والفرح على المستقيمي القلوب » (مز ٩٦ : ١١) على طريقة « التوزيع » مبتدئاً في كل بيت بحرف من احرف يسوع المسيح وهذا هو :

ﻫ ـ ﻫﻫﻫ ﻫﺫﻭ ﻫﺩﻤﺴﻝ ﻭﺏ ﻝﻩ
ﻫﻉ ﺤﻫﺤﺍ ﻭﺍﺤﻫﻫ .
ﺍﺍ ﻤﺍﻫﺠﻩ ﻫﻉ ﻤﻫﻫﺤﺍ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﻝﻩ ﺤﻫﻫﻭﻩ ﻝﺍﻝ ؛
ﺍ ـ ﺍﻫﻫﺤﺍ ﻭﺏ ﻝﻩ ﺤﺘﺘﻤﺍ
ﻫﺤﺫ ﻫﻫﻝﻤﻩ ﻭﻫﻫﺤﺍ .
ﻫﻫﻫﻭﺍ ﻭﺏ ﻝﻩ ﻫﻉ ﻫﻫﻭﻩ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﺤﺘﻫﻫ ﻤﻫﻫﻫﺍ ؛
ﻫ ـ ﻫﻫﺤﻫ ﺍﻭﺏ ﻝﻩ ﺍﺤﻝ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﻝﻤﻫﻫﺤﺍ ﺍﺘﻤﺍ .
ﻭﺤﺭ ﻫﻫﺍ ﻫﺤﺫ ﻤﻫﻫﺤﺍ
ﻤﺍﺍﺍﺠﻩ ﺍﻭﺤﺍ ﻭﻫﻫﻫ ؛
ﻭ ـ ﻤﺍﻭﻭﺫ ﺤﻫﻫﻉ ﺤﺘﻫﺍ
ﻭﻉ ﻫﺠﻫﺭ ﻤﻫﻫﺤ ﻫﻫ :
ﻫﻫﻩ ﻫﺘﻫﺍ ﻫﻫﺤﻫ ﺤﻫﺍﺍ
ﻫﻫﺠﺒﻩ ﻭﻫﻫﺍ ﺤﻉ ﻫﻫﻭﻫﺍ ؛
ﻫ ـ ﺤﺠﺏ ﻫﻫﻭﻫﺍ ﻫﻫﻫ ﺤﻝ ﺘﺍ
ﻤﺍﻝﺤﺏ ﺤﻫﺍ ﺍﻫﻫﻫ ﺤﻫﻫﺍ .
ﻫﺍﻫﺩ ﺃﺃﺍ ﻫﻫﻫﺤﻩ ﻭﺤﻫﺍ
ﻫﻫﻭﻭﺫ ﺤﺘﺍ ﻭﻫﻫ ﻭﻫﻫﺒﻩ ﺤﻩ ؛

ܡ ـ ܡܠܟ ܐܠܐ ܚܡܕܚܣ ܘܚܠ
ܟܢܘ ܚܬܝ ܡܕܚܡ ܠܐܘܟܗ .
ܡܣܒܐ ܚܗ ܐܡ ܒܣܒ ܚ
ܡܡܫܒܐ ܚ ܚܡܡܘ ܝܠܐ ؛

ܢ ـ ܡܡܚܠ ܟܡܡ ܚܢܚܡܐ
ܡܠܚ ܢܘܐ ܠܐܚܡܡ ܘܚܠ .
ܘܡܝ ܘܣܡܡ ܡܠܒܡ ܪܐܡ
ܡܚܒܡ ܚ ܗܢܐ ܡܡܘܚܠ ؛

ܣ ـ ܡܡܚܡ ܘܣ ܡ ܡܠܚ
ܡܢܡܡ ܠܐܘܟܗ ܡܡܡܩܡ .
ܡܡܣܡܘܡ ܚܡܡܩܘܣܩܡ
ܡ ܒܚܡܒܟܗ ܡܠܐ ܡܐܠܡܚܗ ؛

ܣ ـ ܣܡܡ ܡܕܐܩܐ ܡܚܬܡ ܡܡܚ
ܚܡܡܚ ܒܚܐ ܡܐܘܒܩ .
ܡܡܢܡܡ ܩܟܡܐ ܚܬܡܡܡ
ܡܐܣܡ ܡܕܡܚܡ ܡܡܡܟܡ ؛

ܐ ـ ܐܣܬ ܡܘܡܣ ܡܐܠܡܚ
ܘܢܘ ܚܡܡܚ ܡܚܢܡ .
ܘܐܐ ܚܡܡܚ ܡܡܣܐ ܚ
ܚܡܡܘ ܝܠܐ ܚܡ ܡܚܚܐ ؛

عن كتاب الصلاة الفرضية حسب الطقس الكلداني (١ : ٢٥)

وهذه ترجمته الى العربية

ي : ان يسوع المسيح ربنا قد لاح لنا من حضن ابيه ،
أقبل فأخرجنا من الظلمة ، وانارنا بضيائه البهي.
ا : بزغ النهار على البشر ، وانقشع سلطان الظلام ؛
لاح لنا نورٌ من نوره ، وانار عيوننا المظلمة.

ش : أشرقَ مجدهُ ضمن السكونة ، وانار الظلوم السفلية ،
اطفأ الموت ، واخزم الظلام ، وتحطمت ابواب الجحيم .
و : وانار البرايا باسرها ، وقد كانت مظلمة ففيا ساف ؛
انبعث الموتى الراقدون في التراب ، وعبدوا (الله) لاجم فازوا بالخلاص .
ع : أجرى الخلاص ، ومنحنا الحياة ، وصعد الى ابيه الى الملاء ؛
وسيأتي بمجده العظيم ، وينير ابصار الذين انتظروه .
م : ان ملكنا سيأتي بمجده العظيم ، فلنضئ مصابيحنا ونخرج الى لقائه ؛
ولنبتهج به ، كما ابتهج بنا ، وهو يبهجنا بنوره البهيّ .
ش : فلنؤدّ التسبيح لعظمته ، ولنشكرْ جميعنا لابيه العليّ .
اذ قد فاضت رحمته ، فارسله الينا ، وصنع لنا رجاء وخلاصاً .
ي : انّ يومه سيلوح بغتةً ، ويخرج قديسوه الى لقائه ،
وكل الذين اشتاقوا وقدروا واستعدوا يضيئون مصابيحهم .
ح : يفرح الملائكة ، وجنود السماء ، بمجد الابرار والصدّيقين ،
ويصوغون الاكاليل في رؤوسهم ، ويبتهجون معاً في الاناشيد والتهاليل .
ا : يا اخوتي ، اصغوا واستعدّوا ، لنؤدي الشكر للكنا ونخلصنا ،
لانه سيأتي بمجده ، ويبهجنا بنوره البهيّ في الملكوت .

التوزيع عند اللاتين

لقد شاع عند الرومان استعمال التوزيع الشعري ، قبل المسيح . وراج هذا الفن في تواريخ المدافن . وقد وجد في بعض الحفريات الاسبانية التي اشار اليها العالم دي رُسّي رقم[1] يحمل توزيعاً يرجع الى نحو سنة ٧٨٣ للمسيح . والتوزيع موزّع في اول القصيدة وفي اواخرها كما ترى :

T e moderante regor Deus sit mici vita Beat A
U t merear abitare locis tuus incola sci S
S pem capio fore quod egi veniabile ob ho C
E xadi libens et sit fatenti venia larg A
R eor malũ merui set tu bonus arviter anfe R
H eu ne cerna tretrũ quem vultu et voce minac I
E den in regione locatus sim floribud ho C
D eboret ne animâ mersam fornacib' ast U
O curral set tua mici gratia longa pennI S

(١) راجع Patr. Lat., t. XCIX, p. 1231

فاذا جمعت اوائل الابيات قرأت Tuserhedo واذا جمعت اواخرها قرأت التوزيع التالي Ascaricus فهذه القصيدة الصغيرة الفها اسكريس لتكتب على ضريح صديقه تزرهاد Tuserhède.

وألف القديس اغسطينوس ووزن مزموراً ابجدياً لمحاربة الهراطقة الدوناتية (Donatistes)، وذلك نحو سنة ٣٩٣ وقسم هذا المزمور الى مقطوعات عديدة، واتبعها بلازمة بعد كل مقطوعة، وهذه هي اللازمة باللغة اللاتينية:

Omnes qui gaudetis de Pace, modo verum judicate.

وهذا المزمور مسجع بنبراته المتساوية ولكنه يخرج عن الاوزان الشعرية المدرسية المرتكزة على مقطع طويل وقصير... فهو بتقطيعاته الصوتية، ونبراته الموسيقية، شعر طريف واوزان جديدة. وقد لجأ اغسطينوس الشاعر الى هذه الطريقة الحديثة لئلا تفوت غاية النشيد التي هي ايصال الحقيقة اللاهوتية الى عقلية القرّاء الذين هم بنظر اغسطينوس من طبقة الشعب ليفهموا الحقيقة في بردتها السهلة والواضحة[1].

يفتتح اغسطينوس قصيدته بهذا المطلع في مقطوعته الاولى:

Abundantia Pec catorum solet fratres conturbare.

ويبتدئ في مقطوعته الثانية بالحرف الابجدي الثاني:

Bonus auditor fortasse quaerit, qui ruperunt rete?

وقد ادخلت الكنيسة اللاتينية في ترانيم عيد الميلاد والظهور اناشيد رائعة تحمل التوزيع الابجدي وهذه الاناشيد من نظم الشاعر الشهير ساديليوس (Sedulius) ومطلعها: A Solis ortus cardine...

وقد نظم ساديليوس الشاعر نشيد الميلاد هذا على الحروف الابجدية اللاتينية متوخياً في كل ذلك النسلية الفنية والسهولة في حفظ النشيد.

وتبعه في ذلك الشاعر اللاتيني فورتوناتوس (Fortunatus) في نشيد نظمه لاسقف بردقال، فاستهلّ مطلع قصيدته بهذا البيت الابجدي:

---

١) راجع مجموعة الآباء اللاتين لمين مج ٨، عمود ٣٣

Agnoscat omne seaeculum.
Antistitem Leontium.
Burdegalense præmium.
Dono supremo redditum. (١)

فاول حرف A يتصور اول مقطوعة من القصيدة ثم يتابع الشاعر في كل ابيات قصيدته التوزيع الابجدي ، الى آخر مقطوعة حيث ينتهي بحرف Z آخر حرف من الابجدية اللاتينية.

التوزيع عند اليونان

عرف الشعراء اليونان هذا النوع من البديع الشعري فاستحسنوه ، فراحوا يدبجون به حلل افكارهم وعواطفهم ، ولم يقفوا عند الحدّ البسيط من التوزيع بل تخطّوا الى ما ابعد ، فتفننوا بالتوزيع الشعري وتلاعبوا في الرموز واقدم توزيع حفظه التاريخ في النصرانية هو اكروستيش السمكة Ἰχθύς . لقد اتخذت الكنيسة في اول امرها هذا التوزيع دلالة على اسماء عروسها وربيبها يسوع المسيح ، دلالةً على بنوّته الالهية وطبيعتيه الانسانية والالهية وهدياً لميزته الخصوصية وعمله في هذا الكون الذي تمّ بخلاص البشر.

واصل هذا الاختراع هو ان المسيحيين الأولين اتخذوا السمكة شعارًا لهم ودليلًا على ايمانهم بيسوع لخلاص فكانوا يرسمونها على جدران بيوتهم وأوانيها ويحفرونها ويسكبونها سبائك فضية وذهبية ويعلقونها في عنقهم كشيء مقدس لان حروف اسم السمكة تحمل اوائل اسماء يسوع المسيح. Ἰχθύς الحرف I اي هو اول حرف كلمة يسوع Ἰησοῦς وحرف خي X اول حرف من كلمة Χριστός المسيح وحرف ثيتا Θ هو اول حرف من كلمة Θεοῦ الله وايبسلن Υ هو اول حرف من كلمة Υἱός ابن وحرف سغما الاخير Σ اول حرف من كلمة Σωτήρ مخلص فكان مجموع الحروف في كلمة اخثيس Ἰχθύς يحتوي على اوائل اسماء متعددة ليسوع المسيح . وهنا ننقل الاكوستيش بلغته اليونانية مع ترجمته

(١) راجع مجموعة الاباء اللاتين Migne 88, c. 182 . عاش فورتوناتوس هذا في الجيل السادس وسيم اسقفًا على مدينة بواتيه Poitiers وتوفي سنة ٦٠٠.

لتدلّ على عبقرية المسيحيين وروحهم الشعرية التي سمت بالشعر الحيّ الوثاب نحو الحقيقة الازلية :

توزيع اوتن Pectorius d'Autun

Ἰχθὺος οὐρανίου θεῖον γένος ὕμνει σεμνῶ.
Χρῆσι. λαβὼν σπεῦδε ἁγιῶτατα δῶρα βροτείης.
Θεσπεσίων ὑδάτων πηγὴν, φίλε, θελγομένη ψυχῇ.
Ὕδασιν ἐν ζωοῖς πλουτοδότου σοφίης.
Σωτῆρος ἁγίων, μελιηδέα λάμψας Βροσίην.
Ἔσθε πινόων. ἰχθὺν ἔχων παλάμαις (1)

واليك ترجمتها بالعربية :

ايتها السُلالة الالهية المنحدرة من الاخيثس السماوي ،
اقبلي بهاب مفعم بالاحترام حلوَ الحياة بين اهل الغناء .
جدّدي روحك ، يا حبيبتي ، في المياه الالهية ،
بجاري الحكمة الازلية التي تعطي الكنوز .
خذي الغذاء الحامل من مخلص القديسين ،
كلي عند جوعك ، واشربي عند عطشك ،
فانت تحملين الاخيثس في راحتيك .

فالمسيحيون في القرنين الأول والثاني قد اتخذوا الاخيثس كلمة تعارف بينهم فرسموا صورتها على جدران بيوتهم ، ونقشوا حروفها على ضرائحهم فكانت لهم ميزة فارقة عن سواهم .

ثم ان الشعراء على مدى العصور قد تفننوا وتلاعبوا كثيرًا في الاكروستيش حتى ان واحدًا منهم كان يعرّض بقارئه ويقول له ان اسمي مكتوب امامك فاحسن قراءته . وآخر كان يقول اني اراهن اني اكتب اسمي بكل حروفه دون ان يحسن احد قراءته (Caticulius).

وهذا التلاعب اللفظي خطا خطوة كبرى مع الشعراء الكنسيين اليونان ، فاكثروا منه في انا شيدهم الدينية ، وتلاعبوا في فنه ايّ تلاعب وخلّدوا اسماءهم في قصائد عديدة لم تزل الى اليوم تحمل الى الاجيال المقبلة اسماءهم وبنات افكارهم .

1) Pierre Batiffol, *La littérature Grecque*. Paris, 1904, p. 113.

والكتب الطقسية اليونانية لا تزال شاهداً على اثارهم القيّمة التي ما برحت تسطع مشرقةً كالزانة في مفرق الكنيسة البيزنطية.

والأثر الخالد الذي يعرفه الجميع «ابيات المديح» او ترنيمة الاكاتستون «Ἀκάθιστον» والتي ترنمها الكنيسة البيزنطية تمجيداً للعذراء مريم الوالدة في يوم الجمعة من خمسة اسابيع الصوم الاولى، هذا الاثر هو اربعة وعشرون مقطوعة على عدد حروف الابجدية اليونانية، وقد نظمها الشاعر الملهم والبقري الخالد مرنم بيروت ومطرب الملوك بالقسطنطينية رومانس الذي ربط اجزاءها بسلسلة الابجدية كانها سلم يصعد بها رومانوس الى السماء حيث يستقي الوحي الازلي والالهام الصافي المتفجر من ينبوع العذراء الدائم الفيضان.

والبيت الاول من قصيدة رومانس يبتدئ بأول حرف من الابجدية وهذا مطلع القصيدة الخالدة[1]:

Ἄγγελος πρωτοστάτης...

والمقطوعة الثانية من القصيدة مطلعها يبتدئ بالحرف الثاني الابجدي:

Βλέπουσα ἡ ἁγία σαυτὴν ...

وهكذا بالاطراد تتابع الحروف الابجدية سيرها في اوائل المقطوعات الى الاخيرة ومطلعها بالحرف الابجدي:

Ὦ πανύμνητε μῆτερ...

ومن هذا النوع ايضاً قصيدة رومانس لتقدمة عيد الميلاد وهي من اروع القصائد التي جادت بها قريحة الشاعر ومطلعها: ايتها القوات السماوية سيري[2].

Αἱ Ἀγγελικαὶ προπορεύεσθε Δυνάμεις ...

والمقطوعة الثانية ومطلعها: لتقطر التلال حلاوة.

Βουνὰ γλυκασμὸν στάξατε ἔσωσεν...

وآخر مقطوعة من هذه القصيدة ومطلعها: ظهرت على الارض وتردّدت بين الانام

(1 cf: Τριῴδιον ἐν Ῥώμῃ, 1879, p. 506-515

٢) راجع كتاب البيانون اليوناني لشهر كانون الاول، روما ١٨٨٩ ص ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٧٧ و ٥٩٢ و ٦٠٩ و ٦٢٩

Ὥρθης ἐπὶ γῆς, καὶ βροτοῖς συναναστράφης ...

وهناك قصائد عديدة في كتب الصلوات الفرضية ترتدي ثوب التوزيع الابجدي ، منها قانون المطاليبي، وقانون عيد البشارة للقديس يوحنا الدمشقي

والدمشقي تفنن اكثر من غيره بالحروف الابجدية وهذا التفنن يبين حتى في النشيد الواحد كما نرى في قانون عيد البشارة . بدأ الشاعر الموسيقي القصيدة باكروستيش ابجدي يسم المقطوعات حتى نهاية الأودية السابعة ، والقصيدة حوار لطيف عميق التفكير وبعيد المرمى في الافكار والتخيلات الشعرية وهذا الحوار يدور بين الملاك المبشر والعذراء مريم . والقصيدة من اروع قصائد الدمشقي ومطلعها بعد المقدمة : فليترنم بحرك ايتها السيدة[1] Ἄθικτον ὄρος σε ὑμνοῦμεν.

والمقطوعة الثانية : اهتف اليك متحدثا Βοῶ σοι γνήσιον

والمقطوعة الثالثة : اظهر لي ايها الملاك Ἔνσπειρον μοι, Ἄγγελε.

وهكذا بالاطراد الى اخر حرف حيث ينتهي في الأودية السابعة . وفي الثامنة يبدأ الشاعر الدمشقي بتوزيع جديد ولكن الحرف لا يشمل مقطوعة بل بيتاً واحداً . فينتهي التوزيع الابجدي بالاطراد في آخر الأودية الثامنة . وفي اول التاسعة يبدأ الشاعر توزيعاً ابجدياً ثالثاً فردياً ولكن عكساً اي يبدأ اول بيت بآخر حرف من الابجدية .

ونجد هذا التلاعب في غير قصائد . كما واننا نجد التوزيع الابجدي في كتاب الاكطويخوس اي كتاب الثمانية الحان . وهذا الكتاب تستعمله الكنيسة البيزنطية في صلواتها الفرضية يوم الاحاد والاعياد على مدار السنة .

ففي صلوات الغروب في عشية الاحد يوجد توزيع ابجدي موزّع على الثمانية الالحان في قطع الاوستيخن وهذا عنوان القطع في الكتاب :

Ἕτερα στιχηρὰ κατὰ ἀλφάβητον.

استخيرات آخر على حروف الهجاء . وقد وزع الشاعر بلباقة ثلاث مقطوعات لكل لحن من الالحان الثمانية حتى يستقيم عدد الحروف الهجائية اليونانية .

---

١) راجع الميناون اليوناني لشهر آذار ، روما ١٨٨٩ ، ص ١٧٦

وهنا لا بدّ لنا ان نصرح بحقيقة جديدة واكتشاف فريد الا وهو وجود اسم يوحنا الدمشقي مؤلف كتاب الاكطويخوس Οκτώηχος في صلب الكتاب وبنوع خفي.

كل يعلم ان هذا الشاعر القديس تغنى بامجاد قيامة المسيح وصلبه وامجاد امه العذراء . وقد خلّف للكنيسة اثرًا ما بعده اثر ودررًا غالية الثمن تتقلدها كلّ يوم ، وفي اعيادها الكبيرة ، وتجعلها قوتًا لابنائها يغذي النفس المتناوبين منها ويحفظها للحياة الابدية . وقد جعلت الكنيسة البيزنطية هذه الصلوات المتحدرة من المعلم الشرقي صوتها الخاص ، ولحنها المتجدّد ابدًا ، وصداها البعيد وصلاتها الصاعدة باستقامة الى عرش الحمل الظافر على الخطيئة والموت والعالم. ان اسم يوحنا الدمشقي موزع في كل الكتاب في الثمانية الالحان وقد توفقنا بعد البحث الطويل والدرس المتواصل الى الوقوف على هذه الحقيقة وهي ان كتاب الاكطويخوس المنسوب الى الدمشقي هو حقيقة صنعة فكره ووليدة تأملاته .

لقد وزّع الدمشقي اوائل اسمه في تلك المقطعيات التي خصّصها بالعذراء الوالدة في ايوستيخن الغروب في الثمانية الالحان ، وقد توفق الى طبع اسمه بنوع خفي ظاهر .

اجل لم يرد يوحنا الدمشقي ان يصدر كتاب الاكطويخوس بعنوان كبير يحمل الى الملأ اسمه وصورته ولم يكتب بأول كتابه : تأليف الاب يوحنا الدمشقي. لم يفعل ذلك لتواضعه . ولكنه عمد الى طريقة سرية علمية وشعرية يخلّد بها اسمه بنوع خفي على صفحات كتابه وفي صلب الصلوات والاناشيد وقد اتخذتها الكنيسة البيزنطية كدستور لصلواتها الفرضية . لقد طبعها الدمشقي بطابع اسمه الخاص كما طبع رومانس قصائده بخاتم اسمه الخاص فوزّع على مقطوعاته الشعرية حروف تلك الجملة او تلك الفقرة الخالدة Τοῦ Τεκοῦσαν Παρθένον [illegible] وكل قصائد رومانس تحمل اسمه مع لقبه المتواضع او ما شاكله .

ان اسم الدمشقي موزع في كتاب يربو عدد صفحاته على السبع مئة

صفحة من القطع الكبير. وها انا اجمعها واقدمها في نصها اليوناني لتظهر حقيقة ما ينسبون ليوحنا الدمشقي من انه هو مؤلف الاكطوئخوس[1].

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الاول صفحة ٤.

Ἴδοὺ πεπλήρωται ἡ τοῦ Ἡσαΐου προφητείας...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثاني صفحة ١٠١

Ὦ θαύματος ἀκοαὶ πάντων τῶν πάλαι θαυμάτων...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثالث صفحة ١٨٧

Ἀσπόρως ἐκ θείου πνεύματος

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الرابع صفحة ٢٧٤

Νῦν ἐν παραδείσοις

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الخامس صفحة ٣٦٤

Νῦν καὶ πάντα ὑπάρχει...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السادس صفحة ٤٥٢

Ὁ πόντος καὶ ἡ ξηρά σου...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السابع صفحة ٥٣٠

Ὑπὲρ τὴν σὴν ἀλήτευτον...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثامن صفحة ٦١٨

Ἀνυμφεύτως παρθένε.

وهذا مجموع الحروف عمودياً بالخط المستقيم Ἰωάννου Ν. فالاسم الاول كامل، وهو في حال الاضافة، والاسم الثاني ناقص وهو اول حرف من كلمة Νίνος نشيد واذا ما جمعنا الكلمتين بان لنا ما معناه Ἰωάννου Νίνος نشيد يوحنا.

فهذا الابتكار الفني يظهر لنا صحة نسبة الاكطوئخوس الصغير للقديس

1) راجع كتاب المزي او الاكطوئخوس الكبير، طبعة روما ١٨٨٥،
Παρακλητικὴ Ἤτοι Ὀκτωήχος ἡ μεγάλη.

يوحنا الدمشقي الذي كتب اسمه في صلب الكتاب ووزّع حروفه على مبنى الغاية الالحان التي نسقها ونظمها ، وتركها للكنيسة كتراث ثمين . ولعل الغد القريب يؤتينا بالاكتشافات الجديدة الكبيرة عن مؤلفات هذا القديس والشاعر الكبير ، والملفان المفوّه الذي عدّه لاون الثالث عشر ملفان الكنيسة الجامعة ، وهو يضيف اليوم مجداً الى مجد باقة شاعر الكنيسة الاوحد الذي نظم العذارى والرهبان اجواقاً اجواقاً ولقنهم الحاناً يسبحون ويرنمون للرب مدى الدهر .

والتوزيع اليوناني عني في موضوعاته . فهو إما ان يكون جملة او شعاراً ، او اسم علم ، او حكمة فلسفية او روحية ، او بيتاً من الشعر الايمبيكي Iambique ، او ابياتاً عديدة ، كما في قصائد الدمشقي لاعياد الميلاد والظهور والعنصرة .

والدمشقي المتلاعب في مباني القصائد لا يقف عند استعمال توزيع بسيط ، بل يتلاعب بفنه ومهارته بالتوزيع الشعري فيؤلف توزيعاً من التوزيع نفسه كما في قصيدة عيد العنصرة .

واليك عنوان القصيدة بالتوزيع :

Ἡσυχίας λόγε, πνευματοφόρων πάλιν ἄθλον
Ἐκ μεγαλουργίων τῆς ἐπιφανείας,
Θεὸς πυρὸς φλόγωσιν φέρων θεόπτας ἀθλοῦν.
Σὺν τῇδε φύσιν, καλλίχορον ὑμνοῦσιν.

فالشاعر يوحنا لم يكتف بتوزيع بسيط واحد بل ألف توزيعاً شعرياً مركباً من اربعة ابيات . وكل حرف من هذه الاربعة الابيات وزّع على بيت من القصيدة الى آخر حرف . ثم لاحظ ان الشاعر صنع توزيعاً في التوزيع نفسه فكان توزيع الاربعة ابيات كلمة : الله Θεός وانا لنتعجب من براعة يوحنا الدمشقي[1] ، وشغل فكره في مباني القصائد التي كانت معرضاً لبنات افكاره ودليلاً الى الحقائق الازلية اللاهوتية التي تغنى بها وعلمها للكنيسة ، حتى يراجعها ابناؤها ويتعلموا الحقائق اللاهوتية بسهولة ووضوح ، في قالب بديع من الشعر العالي المدرسي .

1) cf. Krumbacher , *Geschichte der Byzantinischen Literatur*, 2e édition Munich, 1897, p. 674

وهنا نبدي ملاحظة ونقول : ان يوحنا الدمشقي وحده ، بين الشعراء الدينيين ، نظم الشعر المدرسي في اناشيد خالدة ضمّت بين تقاطيعها قواعد الشعر الحديث الذي نظم عليه كل الشعراء اليونان الدينيين مثل رومانس المرنّم ، واندراوس الاقريطشي ، وقزما اسقف مايوما ، ويوسف كاتب التسابيح ، وتاودورس ناظم التريودي ، وغيرهم كثيرون .

التوزيع عند العرب

وادرك العرب هذا النوع من البديع الشعري ، فراحوا يستخدمونه في القصائد والابيات والمقالات النثرية في اوائلها واواسطها واواخرها كما في مربعة ابن دريد وهذه مقاطعها الاولى[1] .

ا

أ أبقيتَ لي سقماً يمازج عبرتي من ذا يلذُّ مع السقام بقاءَ أ
أ أشمتَّ بي الاعداءَ حين هجرتني حاشاك مما يُشمت الاعداءَ أ
أ أبكيتني حتى ظننتُ بانني سيصير عمري ما حييتُ بكاءَ أ
أ أخفي وأعلنُ باضطرار إنني لا استطيع لما أجنّ خفاءَ أ

ب

ب بقلبي لذعٌ من هواك مبرّحٌ نعم دام ذاك اللذع ما عشتُ للقلب ب
ب بك استحسنت نفسي الصبابة والصبى وقد كنت قبل اليوم ازري على الصبّ ب
ب بذلتُ له الدمع الذي كنت صائناً لادناه الا في الجليل من الخطب ب
ب بُليتُ ببعض الحب والبعض موعدي مجاورةً بعد المنية في القرب ب

ت

ت تمنّيتُ المنيّة يوم قالوا غداً نجموع شملكم شتيتُ ت
ت تعيش صبابتي ويموت صبري ونفسي لا تعيش ولا تموتُ ت
ت ترآءى لي الأسى فصددت عنه فقال اليك انك لا تفوتُ ت
ت تكلم ماء عيني عن فؤادي وقلبي من سجيّته السكوتُ ت

وفي الخزانة الظاهريـة في دمشق ، ضمن المجموع رقم ٥ ، من الابيات قصائد من نظم ابي الحسن علي بن محمد الاندلسي البزري نسج فيها على منوال

١) مجلة الضياء ٥ [١٩٠٣] ٢٧٧

ابن دريد في مربعته . غير انه جعلها عشرة عشرة بدلاً من اربعة ولذلك تعرف بالقصائد المعشرة .

وقد رأينا في خزانة المخطوطات للاستاذ العلّامة عيسى اسكندر المعلوف كتاباً عنوانه: «هذا مجموع غرائب صناعات الاشعار» وهذا الكتاب مخطوط بخط جميل وقديم بالحبرين الاسود والاحمر. وهو يقع في مجموعة من الشعر القديم في اكثر من ٥١٦ صفحة بقطع الربع وعلى هوامشه اشعار وابيات كثيرة. رأينا فيه بدائع من فنون الشعر منها التوزيع ، وما نظم على حروف المعجم او نثر، وفيه دوائر غريبة فنية ومربعات ومثمنات ومشجرات واشباهها فيخرج منها اشعار بديعة .

ولم يذكر فيها اسم جامعها او مؤلفها ولكن يستدلّ من خطوطها وورقها وتجليدها انها قديمة نادرة الوجود لان صاحب المكتبة المذكورة بحث طويلاً في قوائم وخزائن المكاتب الاوربية والشرقية فلم يعثر على نظير لها .

وفيها غير المنظومات الفصحى بعض موالياً وازجال، وكلها تحتوي على هذه الفنون البديعية النادرة . ومن اغرب ما فيها اشعار ليس فيها حرف متصل واخرى ليس فيها حرف منفصل .

فانتخبنا من تلك الفنون العديدة بعض ما جاء عن «التوزيع» . فمنها ما هو موزّع على اوائل الحروف واخراها من حروف الهجاء اولها الف وآخرها الف ؛ ومنها ما هو موزّع بالكلمات والحروف . والكلمات الموزعة بالنسخة الخطية مكتوبة بالحبر الاحمر ونحن وضعناها بين هلالين لتطلع القراء عليها والكلمات الموزعة توجد باوائل الصدر والشطر .

توزيع بالكلمات :

«ان» الحبيب اتى «كاني» زائرًا «فجل» الظلام الصد حين اتاني
«تجد» الهوان من الهوى يا عازلي «من لا» رأى حالي فلا يلحاني
«عيبًا» على الصبّ المحب سلوّهُ «عيب» الذي جرى وليس يُعاني

« فـد » الفؤاد فمذبي لا ثوى « فيـه » وشوقي نحوه اراني
« الجلّ لا » يرتي لنظم بليّتي « وعليّ » تبكي رحمة اخواني

فالكلمات الموزّعة هي بيت من الشعر :

ان نجد عيباً فـدّ الجلالَ جلَّ من لا عيب فيه وعلا

وربما تكون الكلمات الموزّعة في اثناء الابيات كما في قصيدة نثقل بعض ابياتها :

« القلب » من عبدك المسكين مقتبل والدمع من عينه في الخدّ يهملُ
راعت « كالملك » الفظ الغليظ اذا شكا اليك فلا ترثي ولا تصلُ
فجسم عبدك بال « والجوارح » من فرط الغرام شعار الشوق تشتعلُ
والوجد في « جنده » وقف على كبدي فها انا ابدًا بالضرّ مشتملُ

فيكون ما وزّعه الشاعر هذه العبارة :

« القلب كالملك والجوارح جنده . » وفي هذا المعنى اشياء كثيرة نكتفي منها بما مرّ .

ومن التوزيع ان يوزّع كل حرف على كل كلمة بالاطراد مثل الرسالة السينية للامام الحريري صاحب المقامات :

« بدم القدوس استفتح وباسماده استنجح سيرة سيدنا السيد النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين . . . واستشارت نفسه وبسق غرسه واتسق انسه . »

وقد وزع الكاتب الناثر حرفاً من الهجاء ، حرف السين ، في كل كلمة من الرسالة وهذا التوزيع نادر جدًّا مما لم يُنسج على منواله .

ومن التوزيع الغريب ما جاء في كتاب « شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة » تأليف عيسى اسكندر المعلوف وهذا الكتاب مخطوط في نحو الفي صفحة في جزءين الاول في الشعر والشاعر والفنون الشعرية والثاني في معاني الاشعار منها قصيدة نادرة سماها ناظمها المجهول « الموصلات » وهي لا تقرأ حتى تصل اول كل كلمة بالتي بعدها على التوالي من اولها الى آخرها وهذا مثال قليل منها :

انا لشوق قلبي طما الما ورث جدي زعا
أيد لاشجان يسقني أقسم لحب مثلي نما
أر حشاي وى أقدها ـلا رلا جودي دعا

فقراءة هذه الابيات هكذا :

انا الشوق لقلبي قطعا طالما اورث وحدي جزعا
زائد الاشجاني لا يسقني يانع الحب لمثلي منما
نار احشائي حوى واقدها ألما لولا وجودي جدعا

وهذا النوع من التوزيع هو من نوادر القصائد والصناعة البديعية في الشعر .

ومن فنون الشعر في عصر الانحطاط قصائد « محبوكات الطرفين » وهي ان توزع الحروف في كلمات اذا قرأتها على التوالي في اوائل الابيات تخرج منها ابيات شعر وهي مشهورة بالقصائد التاريخية .

واول هذه القصائد قصيدة شاكر النحلاوي الدمشقي في مدح الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي . ومن فنونها يبتدئ الشاعر ببيتين او اكثر من الشعر في كل شطر منها تاريخ بحروف المعجم للسنة التي نظمها ثم يوزع البيتين كل حرف منهما على بيت من الشعر وذلك البيت يشتمل على تاريخين ايضاً ، في الصدر تاريخ ، وفي الشطر تاريخ الى نهاية القصيدة .

وقد جاء بعد شاكر النحلاوي كثيرون ونظموا على هذا المثال قصائدهم التاريخية منها قصيدتا الشيخ ناصيف اليازجي . الاولى في ابراهيم باشا المصري لما فتح سوريا سنة ١٢٤٨ هجرية (١٨٣١) ، وهذه السنة موجودة في كل شطر من البيتين وفي القصيدة . وقد وزع الشاعر حروف البيتين على اوائل الابيات في القصيدة وهذان البيتان هما :

انت المثيل وفي الاطلال برد لظى اطلال عكا ورفض الرعب والحذر
١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كن بالفا اوج سعد ما به ضرر او غالباً لم يزلْ في اول الظفر (١)

(١) راجع ديوان الشيخ ناصيف اليازجي « النبذة الاولى » المطبعة الشرقية سنة ١٩٠٤ ص ٢٢ .

واليك الان توزيع اول كلمة مثال على ذلك انت الخليل :

أ الزهر تبسم نورًا عن اقاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها
ن نور الاقاحي الذي ما بالحياء به من صحة وصفاء عزّ منشيها
ت تلك الربوع لليلى ابن مربعها عن قصده وسيوف الرب تحميها
أ ادماء تجني على الاكباد مصلية تبارك الله ما احلى تجنّيها
ل ليلى ولي شوقُ قيس في محبتها فشعره فجنون شابهُ فيها
خ خال لها عمهُ وَرْدٌ بداحرمًا في رجنةٍ حميت عمن يدانيها
ي يقول قومي رويدًا قد سئمت هوًى فقلت مهلًا شفاءي من نواحيتها
ل لعل صافي نسيم من خمائلها اتى يهبُّ على روحي فيشفيها

والثانية في السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٨٣ هجرية ضمن كل شطر منها تاريخًا لسنة ١٢٨٣ وافتتح صدورها بحروف يجتمع منها بيتان في كل منهما اربعة تواريخ للسنة المذكورة وهما هذان :

قلبُ الخليفة . يقظان يجرّدهُ عما يخاف الرضى . من واجب النظرِ
مظفرٌ نائبٌ في ارض واقفةٍ مبارز غالب دنياه بالظفرِ(١)

واما القصيدة فهذه ابياتها الاولى :

ق قف بالمطايا على انجادِ ذي سَلَم وقُل سلام على من دام في العلمِ
ل ليلاء محجوبة عن مرسل بصرًا دامت على حجبها حتى على النسمِ
ب بارحتها نوازيل الشوق في كبدي أقسام يحرقُ دمعًا رش كالمنمِ
ا اشكو الى الله ما ساربت في زمني في حبها من جيوش الفتك والسقمِ
ل لقيت في العشق هولًا لا ألام به فذاك الصب قيد بحكم اللزمِ
خ خودٌ من العرب فيها النحب طاب لنا كما يطيب لحيّ الطيبُ النعمِ
ل لعزّها الذلُّ صفوَ العز نحسبه والسُّم من يدها خير من الدَّسمِ
ي يحلو الضنى في هواها السحب فلي فيه الشفا كالشفا واللوم كالنعمِ
ف فتّانة بجمالٍ طيبٌ مورده ما زال يحمي لعيد لاذ بالحرمِ
ت تبارك الله منشيها على مُلَحٍ تحلو وتحمي قلوب الناس كلهمِ . . .

وكذلك قصيدة ولده العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في اسماعيل باشا

(١) راجع ديوان ناصيف اليازجي « النبذة الثالثة » سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٢ .

خديوي مصر وهي على هذا الاسلوب. ومن بعد اليازجيين نظم ملحم الشيل، وشاكر شقير، والشيخ خليل اليازجي وغيرهم قصائد على هذا الاسلوب وهي من غرائب التوزيعات المقيدة بالتاريخ.

ومن اغرب القصائد الجامعة بين التوزيع والتاريخ قصيدة الشيخ محمد قبادو التونسي مدح بها السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٧٦ هجرية ومما جاء في مطلعها قوله :

خير حام « محمد » خير « العبيد » « حاط خيرًا محمد » عبد المجيد
« حاطه » من عثار « حمد » برحف « منتج » حمد « عرف رشد » عهود

فقراءة هذين البيتين ما خرج عن نطاق الهلالين

خير حام خير عبد المجيد من عثار برحف حمد عهود

ويخرج من هذه القصيدة الفنية مولدة فيها آلاف من التواريخ.
واليك الآن توزيعاً غريباً تاريخياً :

هو تاريخ بقلم شاكر شقير اللبناني يهنئ بزفاف خديجة هاشم شقيقة عباس باشا خديوي مصر الى الامير عباس حليم باشا في مصر وذلك سنة ١٣١٢ هجرية وسنة ١٨٩٥ مسيحية

وقد وزع الشاعر في كل شطر اسم عباس حليم وخديجة توفيق على الكلمات التي يستدر منها تاريخ في كل شطر يوازي :

ع ب ا س ح ل ي م
عادات باهرة الحاسد سيد حرًا انصرخا يحوز مكرمًا
١٣١٢ ١٣١٢

خ د ي ج ه ت و ف ي ق
خط دعاك بعيد جدك هانئًا قدأ وقدرك في يبارك قد
١٣١٢ ١٣١٢

وهكذا وزّع شاكر شقير أحرف عباس حليم وأحرف خديجة توفيق على اوائل كلمات البيتين.

ثم ان الاب يوحنا طنوس الشاعر الملهم نظم في هذا الاسلوب قصيدة عصماء وزّع عليها احرف كلمات «السلام لك يا مريم»[1] وجعل القصيدة خمسين بيتاً :

ا اعدوا السلام وحيّوا ربة النعم صفوَ الملائق امَّ الله والأمم
ل لاحت بمائنا بالنور طالعة كنجمة الصبح لاحت في دجى الظلم
س سمّ الخطيئة لم يسترب طهارتها فهي البريئة من اوزار إثمهم
ل لم يلحظ الله فيها شائبة او خال بانسة او ريبة التهم
ا الآبُ كلاها والابن جملها والروح كلاها في اعظم العظم
م من قبل ما ولدت كانت مقدسة من فور تصويرها في حيز العدم
ل لما تبدت بنور الطهر ساطعة نادى الملائك من هذه بهم
ك كالصبح مشرقة كالبدر مشرقة كالشمس مختارة تخفي ضيا النجم

ومن هذا النوع قصيدة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف نظمها في يوبيل البابا لاون الثالث عشر . ولله قصائد عديدة على طريقة التوزيع الحرفي وفي الكلمات ايضاً . والتوزيع الغريب الفني هو الذي نظمه في تتويج نقولا الثاني امبراطور روسية قال :

(قيصر) موسكو (توجويما) بالهنا لذا (حرى) حقارة ما وصفنا
(دولة) عز (بديعة) المنا فاليسن (بالرابع) عشر قدرنا
بمجد (روسيا) تباهت (بموسكو) و(عشر) سرات تباهى الملك
جاد (نقولا) للبلاد (الظافره) (من شهر) سعد باهيات الفاخره
فالقيصر (الثاني) بدوتم (فيها) ما هلّ (ايار) يميس تيها

طريقة استخراجها

فاقرأ عمودياً كلاهما جرى بين هلالين غدا مختصرا
ثم اعتبره بحساب الجمّل تجد بياناً في مصوغ الجمل
ثلاثة من التواريخ تزى اسلوجا في بابه مبتكرا
يوم الثلاثاء حريّ التتويج لذاك تاريخي له تدبيج
عام ثاني مئة وألف وستة التسعين ختم الوصف.

---

١) راجع المشرق (٧ [١٩٠٤] ٤٤١ – ٤٤٣)

والفقرات التاريخية المستخرجة من بين الهلالين عمودياً هي ثلاثة اشارة الى يوم الثلاثاء وهو يوم التتويج :

١ : قيصر دولة روسيا نقولا الثاني
٤٠٠ ٤٤٠ ٢٧٧ ١٨٧ ٥٤٢ = ١٨٩٦

٢ : توجوه بمدينة موسكو العامرة فيها
٤٢٠ ٢ ٥ ١٢٢ ٧٤٢ ٩٦ = ١٨٩٦

٣ : جرى بالرابع عشر من شهر ايار
٢١٢ ٦ ٢ ٥٧٠ ٩٠ ٥ ٥ ٢١٢ = ١٨٩٦

ونكتفي بهذه الامثال الدالة على جهد وصبر ولا يخفى ان التوريع كثيراً ما يوقف سياق العواطف فيقوم سداً لوضوح الافكار ووضوح المباني